العرب
الخميس 2020/06/25
السنة 43 العدد 11742

لن يخذل العالم مصر في دفاعها عن أمنها

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لم تكن تركيا على وفاق مع مصر منذ أن سقطت دولة الإخوان فيها.

لم يستطع أردوغان وهو الممثل الرسمي للتنظيم العالمي للإخوان المسلمين أن يهضم الهزيمة. لقد تصرف يومها بما يتناقض مع العرف الدبلوماسي فوضع تركيا كلها في خدمة أجندته الإخوانية وصار يتصرف بعدوانية في كل ما يتعلق بمصر.

لم تكن علاقة مصر بتركيا جيدة عبر التاريخ الحديث غير أنها لم تبلغ هذه الدرجة من السوء إلا في عهد أردوغان. فالرجل يغلب في علاقته مع العالم العربي نزعته العقائدية على مصالح تركيا وهو يبيح لنفسه التدخل في الشأن العربي من غير أن يخشى عقابا.

لذلك فإنه وجد في تدخله العسكري في ليبيا مناسبة قد لا تتكرر لاستفزاز مصر من خلال التلويح بالأهداف المضمرة لمغامرته. فأردوغان الذي صار بعد غزوته الليبية يتحدث بصوت عال عن الخلافة العثمانية يدرك جيدا مدى حساسية الوضع في ليبيا بالنسبة لمصر وبالأخص أن ذلك الوضع ينطوي على إمكانية أن تشكل ليبيا جبهة لجماعة الإخوان المسلمين في مسعاها لضرب الاستقرار في مصر انتقاما من الدولة والمجتمع المصري.

مصر إذاً تواجه مؤامرة مزدوجة، مادتها أطماع أردوغان الاقتصادية في ليبيا ونزعته العدوانية لفتح الطريق أمام الإخوان لإلحاق الأذى بها. ذلك ليس بخاف على أحد من الأطراف المهتمة بتطورات الموقف العسكري في ليبيا. روسيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا واليونان بشكل خاص. الجميع يدرك خطورة الموقف بالنسبة لمصر إضافة إلى اهتمامهم بالمعادلات السياسية وتداعيات الصراع العسكري داخل ليبيا.

فإذا سُمح لتركيا بالاستمرار في الزج بمزيد من مرتزقتها في القتال، خلافا لقرار مجلس الأمن، فذلك معناه أن ليبيا ستكون مأوى جديدا للتنظيمات الإرهابية التي سيكون من الصعب في ما بعد اقتلاعها قبل أن تلحق الخراب بما تبقى من البنية التحتية، ناهيك عما يمكن أن تلحقه من أضرار فادحة بالنسيج الاجتماعي الليبي، الذي يمكن تمزيقه بسبب التركيبة القبلية المعقدة التي تشكل العمود الفقري للمجتمع الليبي.

تخشى مصر أن يتأخر المجتمع الدولي في استجابته بسبب خلافات في وجهات النظر داخل حلف الناتو، أو بسبب عناد أميركي روسي يكون محوره محاولة كل طرف منهما إعاقة الطرف الثاني فتقع الكارثة التي يخطط لها أردوغان. حينها يكون تدخلها بمثابة هبوط إلى هاوية لا قرار لها.

اختارت مصر أن تدق ناقوس الخطر وأعلنت جاهزية جيشها للدفاع عن أمنها في وقت مناسب. ذلك هو الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه المجتمع الدولي مستعدا للقيام بواجبه من أجل حماية دولة صارت مهددة باستيلاء التنظيمات الإرهابية عليها وتحويلها إلى قاعدة لتهديد الأمن في المنطقة.

في واقع الأمر لم تستنجد مصر بالدول المهتمة بالشأن الليبي بقدر ما انصب اهتمامها على القبائل الليبية، التي ترفض التدخل الأجنبي في شؤون بلادها لتكون رأس الحربة في حرب تحرير وطنية، سيكون الجيش المصري عنصرا مساعدا فيها.

مصر تواجه مؤامرة مزدوجة مادتها أطماع أردوغان الاقتصادية في ليبيا ونزعته العدوانية لفتح الطريق أمام الإخوان لإلحاق الأذى بها ذلك ليس بخاف على أحد من الأطراف المهتمة بتطورات الموقف في ليبيا

غير أن مصر في حقيقة الأمر حين دقت ناقوس الخطر فإنها وجهت نداء إلى المجتمع الدولي ليقف معها ضد التهديد الذي تمثله التنظيمات الإرهابية، التي صارت تركيا تحارب من خلالها مستغلة اختلاف وجهات النظر بين الدول التي تجمع على أن الوضع في ليبيا يمضي في اتجاه الكارثة.

مصر تدافع عن نفسها. فهي أكثر الدول تأثرا بما يجري في ليبيا. ذلك صحيح. غير أن الموقف الدولي حين ينحاز ضد الغزو التركي فإنه يعبر عن شعور عميق بالمسؤولية في مواجهة الوضع الإقليمي. مصر هي قلب المنطقة وهي قبة الميزان. ذلك يعني أن الإنصات إليها أمر في غاية الأهمية.

لذلك فإن مصر لن تكون وحدها في مواجهة العدوان التركي إذا ما تطلب الأمر ذلك.

ردع الحوثيين ودبلوماسية الرياض

عبدالرحمن الطريري
كاتب سعودي

قام الحوثيون الثلاثاء الماضي باستهداف السعودية بثماني طائرات مسيرة نحو منطقتي نجران وجيزان جنوب المملكة، كما أطلقوا 3 صواريخ بالستية من محافظة صعدة شمالي اليمن بنفس الاتجاه، استهدفت أهدافا مدنية.

الميليشيات الانقلابية أطلقت أيضا صاروخا بالستيا نحو العاصمة الرياض، وتصدت الدفاعات الجوية السعودية لجميع تلك الصواريخ. الحوثيون سموا هذه العملية عملية الردع الرابعة، والحقيقة أن فضول الصحافي يأخذني للتساؤل عن عمليات الردع السابقة ومن ردعت؟

فالتحالف العربي، والمملكة في قيادته، كانت تتصدى لكل الهجمات الصاروخية التي تنطلق من صعدة، سواء التي بدأت عبر نقل قطع الصواريخ مفرقة من قبل حزب الله عبر ميناء الحديدة وغيره، أو بعد أن استقر عدد من عناصر الحرس الثوري وباشروا عملية إطلاق الصواريخ الموجهة على المملكة، ضمن خطة إيرانية شاملة للتصدي لعملية الضغط القصوى من قبل واشنطن.

وتزامنت ضغوط الولايات المتحدة، منذ تصفية قاسم سليماني يناير الماضي، مع تصعيد عسكري على المسرح العراقي واليمني، بالإضافة إلى الخليج العربي، وهذا ما دفع الحوثيين لرفض مبادرة التحالف العربي بوقف إطلاق النار في أبريل الماضي، تزامنا مع دخول شهر رمضان المبارك، والخشية من تفشي فايروس كورونا، خاصة مع وجود تقارير تشير إلى تدمير الحوثيين لما يقارب 65 في المئة من حجم البنية التحتية للقطاع الصحي.

ولكن ما الذي دفع الحوثيين للقيام بهذا الهجوم على المملكة الآن، وعن ماذا يريدون من ردع التحالف؟

على مستوى التوقيت، يأتي هذا الهجوم بعد هجمات من التحالف صدت محاولات التقدم الحوثية على أكثر من محور، وأودت بحياة الكثير من عناصر الحوثي، حيث قُتل ما لا يقل عن 23 عنصرا، في جبهة صلب بمديرية نهم شرقي محافظة صنعاء، بعد أقل من 24 ساعة من سقوط قتلى وجرحى آخرين في منطقة نجد العتق بالمديرية ذاتها.

سبق ذلك أيضا قيام طيران تحالف دعم الشرعية بعدّة غارات على مواقع وتجمعات للميليشيات الحوثية في جبهات صلب، ونجد العتق، ومواقع أخرى في مديرية نهم، وأسفرت الغارات عن خسائر بشرية ومادية في صفوف الميليشيات.

وفي محافظة البيضاء التي ظلت عصية على الحوثيين منذ الانقلاب وكبدتهم الكثير من الخسائر، قام الجيش الوطني مدعوما بطيران التحالف مطلع الأسبوع الجاري باستهداف تجمعات وآليات للميليشيات الحوثية في مناطق متفرقة شمال البيضاء.

جميع هذه العمليات على جبهات مختلفة والتي قام بها الجيش الوطني، بدعم من التحالف العربي، ربما تشير إلى أن عملية الحوثي يجب أن تُسمى "عملية الوجع الرابع" لا الردع، فما ظنه الحوثي خلال عام من توقف عمليات تقدم قوات الشرعية والقوات المتحالفة معها، أوحى لها بشعور غير دقيق حول يأس الطرف الآخر، وغياب الدافع لتحرير كامل التراب اليمني، مما يعني بالذهنية الإيرانية فرصة احتلال اليمن كاملا.

ولعل أكثر ما اتكأ عليه الحوثي خلال الأشهر الماضية، هو الخلاف بين الحكومة الشرعية والمجلس الانتقالي، وهو ما اعتبر فرصة ذهبية حيث سيقاتل الأعداء بعضهم، والمنتصر منهم سيكون أوهن من أن يجابه الميليشيا المدعومة من إيران، ولعل مشاورات جده ثم اتفاق الرياض كانت أكبر الأخبار الحزينة للحوثيين، وكان رهانهم الأكبر ألا يبرح هذا الاتفاق مكانه ولا يدخل حيز التنفيذ.

ولكن السعودية، وهي قوة سياسية كبيرة، لديها نجاحات دبلوماسية لا تعد، من اتفاق الطائف إلى إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية، مرورا برفع عقوبات لوكربي عن ليبيا، وصولا للخطوات الحثيثة لرفع العقوبات عن السودان، ظلت تحاول رأب الصدع بين الأطراف اليمنية لمواجهة عدو واحد، هو الحوثي.

آخر هذه النجاحات الدبلوماسية السعودية في اليمن، نجاح الرياض الاثنين الماضي في إقناع الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي للاستجابة لطلب وقف إطلاق النار الشامل وعقد اجتماع بالمملكة للتنفيذ العاجل لاتفاق الرياض، حيث ستقوم المملكة بنشر مراقبين على الأرض في (أبين) لمراقبة وقف إطلاق النار الشامل وفصل القوات.

الحوثيون كانوا يسيرون بهدوء للسيطرة على شرق اليمن ووسطه، مستعينين بذلك على الانشقاق القائم بين الحكومة الشرعية والجيش الوطني من جهة والمجلس الانتقالي، آملين أن ينتهوا إلى ابتلاع كامل اليمن، كما فعل حزب الله في لبنان واستغرقه ذلك عقدا ونصف العقد، منذ اغتيال الحريري حتى اغتيال لبنان الذي نعرفه.

بإطلاق الصواريخ، لم يكن الحوثيون يختبرون المملكة في الدفاع عن أراضيها، بل كانت العملية في حقيقة الأمر انتقاما للخسائر المتصاعدة على المستوى البشري وعلى مستوى الآليات العسكرية.

الحوثيون اختبروا القدرات العسكرية السعودية عدة مرات، ويعرفون قدرتها على تحرير مناطق، وقطع خطوط الإمداد وإيقاف تمدد الميليشيات، لكنهم راهنوا على عدم قدرة الرياض على جمع الفرقاء اليمنيين الذين تحالفوا لصد الميليشيات، لكن الرياض ستنجح.. كما كانت دبلوماسية الرياض تنجح دائما.

توظيف القرآن في السياسة والرأي

علي الصراف
كاتب عراقي

يستعين بعضنا بالقرآن الكريم لا ليطالع إعجاز النص بما فيه، وإنما لكي يوظفه توظيف غاية وغرض لا يتصل بالضرورة بمعاني النص أو غاياته.

وهذه معضلة تكاد تمتد من يومنا هذا إلى عصر التدوين، حيث شاع البحث عن تفسير وتبرير، للشيء وعكسه.

ورغم ذلك، لا يزال الانتباه إلى مخاطرها شحيحا، إن لم يكن معدوما. لا نعرف سبيلا لدرئها، ربما لأنها أصبحت جزءا من العادة والمألوف.

ومن سحر القرآن الكريم أنه مدهش في كل كلمة فيه، بل في كل حرف. بعض الكلمات نفهمه، وبعضها الآخر يظل لغزا، ولكن حتى اللغز لا يتقدم إلا على نحو مكشوف، بمعنى أنه لا يتطلب تأويلا على تأويل ولا باطنيات فيه.

"أ ل م"، على سبيل المثال، هي "أ ل م"، تتكرر في بضع سور، وبقيت لغزا قد تذهب فيها التفسيرات إلى ما تذهب، إلا أن هناك شيئا واضحا فيها، هو أنها ليست لغزا خفيا، وإنما معنى شاء الخالق عز وجل أن يخفيه إلى حين.

أحد أوجه العجب التي تلفت الانتباه، هي قوله تعالى "ذلك الكتاب لا ريب فيه".

ولطالما كان السؤال جديرا بالانتباه: لماذا قال"ذلك" ولم يقل "هذا الكتاب لا ريب فيه"؟

قد يتطلب الأمر تأملا، ولكنه يتطلب ثقة وإيمانا بأنه سبحانه لا يورد كلمة إلا وكانت تؤدي غرضها المقصود بالذات.

منذ وقت بعيد، والكثير ممن يقدمون وجهات نظر مختلفة، ويؤلفون كتبا، يستهلون كتبهم بآيات من القرآن الكريم. ونادرا ما تنجو خطبة سياسية أو دينية من آيات يستشهد بها قائلها، حتى لكأن قائلها يريد أن يُثبت أن قوله هو الحق، وأن لا حق سواه، وأن دليله على ذلك هو ما ينقل أو يستشهد به من قول الرحمن.

وهذا من سوء التدبير. ذلك أن استخدام آيات القرآن لأغراض الدفاع عن وجهات نظر قابلة للجدل، هو استخدام سيء، على الأقل لأنه يوظف تلك الآيات لغرض قد يصح وقد لا يصح.

الخطاب السياسي الذي يوظف القرآن لغاياته، معضلة قائمة بذاتها. لأنه يجعل من آيات الذكر الحكيم أداة من أدوات الإقناع، أو من "عدة الشغل" التي ينافح بها أولئك الذين يستخدمون الدين سُلما للسياسة.

وهذا مرض شائع، ويكاد لم ينج منه كل صاحب غاية أو غرض. حتى أنك لا تسمع خطبة تحرض على شيء من القتل والعنف إلا وتجد لها آيات. ثم لا تجد خطبة تدافع عن الوجهة الأخرى إلا وتجد لها آيات أخرى، حتى ليجوز التساؤل عما إذا كان في الأمر تناقض، أو حتى ليتوفر الشعور بأن هناك في أقل الأحوال أمرا مثيرا للحيرة أو الالتباس.

والقرآن الكريم جلّ عن ذلك كله. ومن يدرك رفعته، يعرف أنه لا تناقض فيه، ولا حيرة، إلا عندما يتم التجرؤ عليه بتوظيفه لغايات تناهض أخرى من الأغراض الذاتية أو السياسية أو الدعائية.

وقد يبلغ التهافت ما يبلغ في استخدام القرآن للدلالة على كل موقف من مواقف الدنيا. ويجيد أهل "الإسلام السياسي" استخدام "عدة الشغل" هذه لإقناع الناس، أو الجهلة منهم على الأقل، بأن ما يقولونه هو الحق.

الذي أنزل القرآن يعرف، على أي حال، أننا سنفعل. ويعرف أننا سنورد الآيات في غير موارد الحق أو بالباطل دون مراعاة لا لقدسيتها، ولا حتى لمعانيها الأصلية، أو للأسباب التي نزلت من أجلها.

في الفرق بين "ذلك" و"هذا" مسافة. قصدت أن تبعد الذكر الحكيم عما يتناقلون.

يمكنك أن تتخيل الأمر على النحو التالي: سوف أنشر كتابا، يعكس آرائي الخاصة، وأضع في مقدمته القول "هذا الكتاب لا ريب فيه". فما هو الانطباع الذي يتركه هذا القول لديك؟

الانطباع المباشر هو أن مؤلف الكتاب "لا ينطق عن الهوى"، وأن ما يقوله هو وحده الحق الذي لا ريب فيه.

ولقد شاء الله عز وجل، أن ينجي كتابه، من ذلك بوضع تلك المسافة. فحتى لو تجرأ كاتب على القول "ذلك الكتاب لا ريب فيه"، فإن القول سوف يحيل إلى القرآن الكريم، وليس إلى أي كتاب سواه، بفضل المسافة الضمنية بين "هذا" و"ذلك".

قد يدرك المرء من ذلك سحرا، وقد يدرك إعجازا في دقة التوصيف، ولكن من المفيد أن ندرك نحن، كم أننا نمارس شرا عندما نستعين بآيات لنبرر بها ما نقول، أو لندافع بها عن موقف.

والمواقف تخطئ وتصيب. كما أنها تتغير من حين إلى حين عندما تتبدل عناصرها، تنقص أو تزيد.

والمعارف نفسها ليست على أي ثبات. وما من مطلق في العلم إلا بأضيق الحدود. والحال ينطبق على السياسة أكثر مما ينطبق على العلم نفسه، لأن عناصرها ومتغيراتها كثيرة، ولأن غاياتها، هي من الأساس، آنية ومحدودة.

وضعُ القرآنِ في موضع الرأي، هو نفسه عمل خطِير. هو عمل انتهازي قبل كل شيء، ولكن خطورته تكمن في قابليته على الإقناع بما قد لا يمكن أو لا يصح الاقتناع به.

السياسة على وجه الخصوص، أجدر بأن تكون موضع مساءلة وشكوك. تلك هي طبيعتها. بينما يقصد الاحتكام إلى القرآن إخراجها من موضعها الطبيعي، ليجعل منها شيئا مقدسا. تسعى إلى أن تتقدس بما ليس لها، بينما هي تندس المقدس بتسخيره لأغراض غير أغراضه.

فهل من سبيل يحول دون تلك الظاهرة؟ وهل يمكن للخطاب السياسي أن يتجرد من هذا النمط من التوظيف لآيات القرآن؟

ألا يمكن للسياسي أن يدافع عما يراه صوابا، بدلائل السياسة نفسها، لا بدلائل الدين؟

السياسي الذي يقدم لموقفه بآية، إنما يكاد يقول، من حيث يدري أو لا يدري، "هذا الكتاب لا ريب فيه". بينما نعرف أن السياسة ليست بالضرورة، هدى للمتقين.